مجلة حوليات التراث
ADP
Revue Annales du Patrimoine
P-ISSN 1112-5020 / E-ISSN 2602-6945

عقدة النقص عند عنترة بن شداد
مقاربة تحليلية سيكولوجية على ضوء نظرية ألفرد أدلير

The inferiority complex in Antara Ibn Shaddad
A psychoanalytic approach in the light of Alfred Adler's theory

د. شيخ امباكي جوب
جامعة شيخ أنت جوب بدكار، السنغال
cheikhmbacke.diop@ucad.edu.sn

تاريخ الاستلام: 2024/7/29 - تاريخ القبول: 2024/8/23

24
2024

الإحالة إلى المقال:
* د. شيخ امباكي جوب: عقدة النقص عند عنترة بن شداد مقاربة تحليلية سيكولوجية على ضوء نظرية ألفرد أدلير، مجلة حوليات التراث، جامعة مستغانم، العدد الرابع والعشرون، سبتمبر 2024، ص 97-113.

BY-NC-ND

http://annalesdupatrimoine.wordpress.com

***

مجلة حوليات التراث، العدد 24، 2024، ص 97 - 113
P-ISSN 1112-5020 / E-ISSN 2602-6945

عقدة النقص عند عنترة بن شداد
مقاربة تحليلية سيكولوجية على ضوء نظرية ألفرد أدلير

د. شيخ امباكي جوب
جامعة شيخ أنت جوب بدكار، السنغال

الملخص:

تسلط المقالة الضوء على عقدة النقص التي عانى منها عنترة ابن شداد، أحد أبرز شعراء العصر الجاهلي، نتيجة سواد لونه وأصله العبودي في مجتمع قبلي يقدّر النسب الشريف واللون الأبيض. تعالج المقالة تأثير هذه العقدة النفسية على حياة عنترة وشعره، واستخدام الشاعر الفروسية والخصال النبيلة للتعويض عن عقدته. فقد استطاع عنترة أن يحوّل معاناته إلى دافع لتحقيق البطولات والفروسية، واستخدم قوته وشجاعته في المعارك كوسيلة للتعويض عن هذا الشعور. فأصبحت شجاعته وبطولاته في الحروب جزءًا من هويته وأداة لإثبات الذات والاندماج في قبيلته. إضافة إلى ذلك، تجسدت الخصال النبيلة مثل الكرم والشرف في شعره وسلوكه، كوسيلة للتغلب على التمييز الاجتماعي الذي واجهه. وفي هذا الصدد، توظف المقالة نظرية علم النفس الفردي لألفرد أدلير، التي تركز على الشعور بالنقص كدافع رئيسي للسلوك البشري، كإطار تحليلي لفهم سلوك عنترة ودوافعه. ويتم تحليل قصائد عنترة من خلال هذا المنظور النفسي، مما يكشف عن العمق النفسي والمعاناة التي شكلت جزءًا كبيرًا من إبداعه الأدبي.

الكلمات الدالة:

عنترة بن شداد، عقدة النقص، البشرة السوداء، العبودية، ألفريد أدلير.

The inferiority complex in Antara Ibn Shaddad
A psychoanalytic approach in the light of Alfred Adler's theory

Dr Cheikh Mbacké Diop
Cheikh Anta Diop University of Dakar, Senegal

Abstract:

The article highlights the inferiority complex experienced by Antarah ibn Shaddad, one of the most prominent poets of the pre-Islamic era, due to his black skin and slave origin in a tribal society that valued noble lineage and fair skin. The article examines how this psychological complex affected Antarah's life

تاريخ الاستلام: 2024/7/29 - تاريخ القبول: 2024/8/23
cheikhmbacke.diop@ucad.edu.sn
© جامعة مستغانم، الجزائر 2024

and poetry, and how he used chivalry and noble qualities to compensate for his inferiority complex. Antarah managed to turn his suffering into a drive for achieving heroism and chivalry, using his strength and courage in battles as a means to compensate for his feelings of inferiority. His bravery and heroism in wars became a part of his identity and a tool for self-affirmation and integration into his tribe. Additionally, noble qualities such as generosity and honor were embodied in his poetry and behavior as a means to overcome the social discrimination he faced. The article employs Alfred Adler's individual psychology theory, which focuses on the feeling of inferiority as a primary motivator of human behavior, as an analytical framework to understand Antarah's behavior and motivations. Antarah's poems are analyzed through this psychological perspective, revealing the psychological depth and suffering that formed a significant part of his literary creativity.

Keywords:

Antarah b. Shaddad, Complex inferiority, black color, slavery, Alfred Adler.

مقدمة:

تُجسد حياة الشاعر الجاهلي عنترة بن شداد وشعره معاناة الإنسان الأسود في سعيه لتحقيق ذاته وسط تحديات اجتماعية وشخصية معقدة. فقد وُلِد لأب عربي وأم سوداء كانت أمة، ففرضت عليه التقاليد القبلية العبودية، وجعلته ينتمي إلى الطبقة الأدنى في المجتمع العربي. شكّل هذا الانتماء العرقي والاجتماعي المزدوج عقدة نقص عميقة أثرت في حياته ونفسيته وشعره. وفي بيئة قبلية عربية تتسم بالتمييز العرقي والطبقي، عاش عنترة حياة ملؤها الصراع الداخلي والخارجي. لقد استطاع التغلب على القيود الاجتماعية والوصمة المرتبطة بلونه الأسود وأصله العبودي ويكسب اعتراف أبيه بفضل بطولاته وفروسيته، إلا أن آثار التمييز والاحتقار لم تفارقه، بل ظلت تشكل جزءاً من وعيه ولا واعيه.

لقد عكس شعر عنترة هذه المعاناة بوضوح، إذ طغت عليه النزعة الذاتية والغنائية، بعيداً عن الأغراض الشعرية الأخرى. وظل تعويض النقص وسعيه للارتقاء بمكانته الاجتماعية والنفسية هدفاً محورياً في حياته وشعره. وتحلى عنترة

بالخصال النبيلة وافتخر ببياض شمائله كنوع من التعويض عن سواد بشرته، محاولاً تجاوز الشعور بالدونية التي فرضتها عليه الثقافة السائدة. كما شكلت الفروسية والشجاعة عنصراً رئيسياً في استراتيجيته للتعويض، حيث جعل من سيفه وجواده نسباً جديداً يتحدى به أصله العبودي وينافس به الشرف القبلي. ورغم أن المجتمع القبلي لم يتخل عن نظرته الدونية له، إلا أن عنترة استمر في السعي نحو المجد والعلياء، مستخدماً بطولاته في ساحات القتال كوسيلة لإثبات الذات والاندماج في القبيلة.

تقدم هذه الدراسة نظرة معمقة في حياة عنترة بن شداد وشعره، موضحة كيف شكلت عقدة النقص المحرك الأساسي لنموه الشخصي والفني. وتوظف الدراسة في ذلك نظرية عقدة النقص في التحليل السيكولوجي والتي طورها العالم النفساني ألفرد أدلير. وسنرى من خلال هذه النظرية كيف استخدم عنترة الفروسية والأخلاق للتعويض عن النقص الاجتماعي والنفسي، وكيف انعكست هذه الجهود في شعره.

1 - الإطار النظري للدراسة:

يعتبر الطبيب النمساوي سينغموند فرويد (Sigmund Freud) (1939م-1856م) مؤسس التحليل النفساني، وفي نفس الوقت واضع حجر الأساس لتوظيف الأدب في مجال علم النفس. فقد كان يقوم بقراءة النصوص الأدبية مثل (الملك أوديب) لسوفوكليس (Sophocle) و(هاملیت) لشكسبير (Shakespeare) في التحليل النفساني، مما ساعده على بناء نظريته المشهورة عقدة أوديب[1]. وتشكل العلاقة بين التحليل النفساني والدراسات النقدية الأدبية واحدا من أهم التيارات النقدية المعاصرة، لأن علم النفس عند بعض الباحثين يعتبر أقرب العلوم الإنسانية للتجربة الفنية، باعتبار أن علم النفس والفن يعالجان المادة نفسها وهي التعبير عن المشاعر والانفعالات وترجمة العواطف[2].

وقد ركز سيغموند فرويد في دراساته السيكولوجية على العقل اللاواعي واللاشعور واعتبره المحرك الأساسي لسلوك الإنسان مخالفا في ذلك نظرية العقل

الواعي التي كانت سائدة قبله. فالإنسان بالنسبة للنظرة الفرويدية ليس سيد نفسه، وأن وراء قراراته يكمن اللاشعور الذي "يرسم ملامح وحقائق الشخصية الإنسانية"[3].

ونشهد مع عالم نفساني آخر كان زميلا لفرويد لعدة سنوات ثم انفصل عنه، وهو ألفريد أدلير (Alfred Adler) (1870م-1937م)، إلى ظهور نظرية علم النفس الفردي التي تذهب مذهبا مناقضا لنظرية فرويد في تفسير السلوك الإنساني. فيرى أدلير أن سلوك الفرد لا تحركه الغرائز الجنسية واللاشعور كما ذهب إليه فرويد، بل إن "الإنسان كائن شعوري يعرف أسباب سلوكه ويشعر بنقائصه ويحس بأهدافه وهو قادر على التخطيط"[4]. فأدلير يقلل من أهمية اللاشعور الذي جعل منه فرويد الدافع الرئيس لسلوك الفرد، كما أنه يرى أن الإنسان كائن اجتماعي تتحكم عليه بيئته وعلاقاته الاجتماعية الفردية وليس الغرائز البيولوجية وبالخصوص الجنسية، على خلاف فرويد الذي يرى الغريزة الجنسية كعامل مهم في تكوين الشخصية[5]، وكمحرك أساسي في اللاشعور. وقد سمى أدلير نظريته بعلم النفس الفردي لأنه يركز على فردية كل شخص بخلاف النظرية الفرويدية التي تنادي بشمولية الأهداف والدوافع البيولوجية[6].

فالشعور بالنقص يعد أحد المبادئ في علم النفس الفردي[7]. فيرى أدلير أن الإنسان عندما يولد يتعرض للشعور بالضعف والعجز فيلجأ إلى مساعدة والديه ومن يحيطون به. وهذا الشعور بالنقص يثير في الطفل قوة محركة تستنهض سلوكه وتدفعه إلى تحديد مستوى من الطموح يسعى لتحقيقه[8]. فالشعور بالنقص أو الدونية هو الدافع الأقوى لصيرورة الحياة البشرية حسب النظرة الأدليرية. فهو حالة عامة لكل الناس وليس علامة ضعف أو شذوذ، بل على العكس من ذلك فإنه مصدر كل كفاح الإنسان[9].

وقد صاغ أدلير نظريته من تجربة حياته الشخصية، إذ عانى في طفولته من مرض الكساح الذي كان عائقا بينه وبين مشاركة رفاقه في اللعب، كما عانى من مرض الالتهاب الرئوي. ولكنه استطاع أن يعوض عن نقصه الجسمي بالجهد

والسعي، وتمكن من اكتساب الثقة عن نفسه وتحقيق التفوق حتى أصبح من ألمع التلاميذ[10]. بذلك يشكل الشعور بالنقص ميزة فطرية مفيدة للفرد إذ يحفزه إلى التقدم والتفوق. ولكن ماذا إذا لم يتمكن الطفل من التغلب على شعوره بالنقص؟ عند ذلك يتضخم هذا الشعور ويتحول إلى عقدة نقص، فيكبر الطفل ويصبح إنسانا فاقد الثقة بنفسه عاجزا عن مواجهة تحديات الحياة[11]. ويرد أدلير عوامل نشوء عقدة النفس في الطفل إلى ثلاثة عوامل: النقص العضوي (Organic inferiority) والتدليل (Spoiling) والنبذ (Neglecting)[12]. وإذا كان الشعور بالنقص ميزة مشتركة بين كافة البشر فإن عقدة النقص تنشأ عندما يفشل الإنسان، في حركته نحو التعالي والتفوق، في التغلب على هذا الشعور والتوصل إلى نتيجة مرضية[13].

وفي دراستنا هذه لنفسية عنترة بن شداد على ضوء نظرية عقدة النقص الأدليرية، سنرى أن الشاعر الجاهلي كان يعاني من عقدة نقص مضاعفة بسبب أصله العبودي ولونه الأسود في مجتمع يجعل من النسب الشريف واللون الأبيض قيمة معيارية.

2 - العقدة المضاعفة، السواد والعبودية:

عنترة ابن شداد من أشهر الشعراء العرب في العصر الجاهلي، وقد جمع إلى الشاعرية الشجاعة والفروسية، مما جعله، إلى جانب كونه شخصية تاريخية، بطلا أسطوريا ملحميا في الروايات الشعبية العربية. ولد لأب عربي وأم كانت أمة سوداء تدعى زبيبة، فظل جزء من حياته في قيود الرق، ولم يعتقه أبوه إلا بعد أن أثبت شجاعته في قصة مشهورة سنوردها في مكانها. وقد شكلت عنده البشرة السوداء، إلى جانب الأصل العبودي، وصمتان في جبينه وضعتاه في أدنى درجات الهرم الاجتماعي القبلي وخلقتا في نفسيته عقدة نقص. ذلك أن اللون الأسود يحمل في الثقافة العربية رمزية سلبية. فالعرب يجعلون من اللون الأبيض مقياسا، وبالمقابل يجعلون من الأسود، نقيض الأبيض، لونا منحرفا عن هذا المقياس. من هنا ربطوا البياض إلى مجموعة من القيم والصفات كالجمال والنقاوة

والصفاء والطهارة والسلام والسرور. وفي المقابل شحنوا السواد بكل نقائض البياض. فالسواد يرتبط بالظلام والشر والحزن والهم والموت والشؤم والكآبة والحيوانات الشريرة والشيطان[14]. ففي الأحلام تطيروا من المرأة السوداء وربطوها بالوباء، وتشاءموا من الحيوان بالغراب وربطوه بالموت والفراق، وشبهوا القط الأسود بالجني والكلب الأسود شيطانا. وفي اللباس إذا كان البياض يمثل لباس المؤمنين فإن السواد هو لباس أهل النار[15].

إن هذه الرمزية السلبية للسواد تجعل البشرة السوداء تحمل كل الصور النمطية التي تتلاءم مع هذه الرمزية. وهكذا ظهر الإنسان الأسود في المتخيل العربي وفي الأدب الشعبي كشيطان في الأساطير، وكجنس متوحش في قصص الرحلات والمغامرات، أو كعبد كسول، غبي، كريه الرائحة، أبرص، في الحالات العادية"[16].

انطلاقا من هذه الرمزية للون الأسود، خضع الإنسان الأسود في المجتمع العربي للرق على مدى قرون طويلة. فالعلاقات المتوترة بين الأحباش والعرب قبل الإسلام وما تلاها بعد مجيء الإسلام من الفتوحات والغزوات وظاهرة استجلاب العبيد السود في الجزيرة العربية، كل ذلك جعل العربي يربط في مخيلته السواد بالعبودية[17]. إذ كان السود في المجتمع العربي، وأكثرهم من الرقيق الذي كرسوا حياتهم لخدمة العرب، يعيشون على هامش الحياة، كما كانوا أيضا مصدر لهو وترفيه.

وكان هذا التعامل العنصري ضد السود في المجتمع العربي سائدا شمل حتى الذين تميزوا منهم بموهبة في الشعر أو في الفروسية. فقد حال مثلا سواد البشرة بين الشعراء السود وبين أسلوب الحياة التي كان يعيشها زملاؤهم من الشعراء البيض. وكان لهذه المعاملة تأثير في موقفهم تجاه قبائلهم، فغالبا ما كانوا خارجين على الأوضاع السائدة ووقفوا موالين للأنظمة التي تدعو إلى المساواة أو إلى نوع من العدل الاجتماعي[18].

وتبدو عقدة اللون الأسود متجذرة عند كثير من الشعراء السود، فقد

خضعوا لحقارة اللون الأسود ودونيته أمام اللون الأبيض كما روجته الثقافة السائدة. واشتهر عندهم ثلاثة عرفوا بأغربة العرب وهم: خفاف بن الندبة والسليك ابن السلكة وعنترة بن شداد. وتسميتهم بالأغربة ترجمة لنظرة الاحتقار التي كان السود يخضعون لها في المجتمع العربي الجاهلي. فالغراب عند العرب طائر مشؤوم يرمز إلى الفراق والخراب والموت وهو عندهم أكثر من جميع ما يتطير به في باب الشؤم[19]. ويبدو عنترة بن شداد أكثر حساسية من بين الثلاثة تجاه وضعه الاجتماعي. فهو، إلى جانب سواد لونه في بيئة تمقت السواد وتتشاءم منه، كان يعاني من عاهة اجتماعية لم تكن بأقل وطأة على نفسيته وهي الرق. فقد فرضت عليه التقاليد القبلية العبودية بحكم ولادته من أمة سوداء، مما جعله ينتمي إلى الطبقة الأدنى من المجتمع العربي:

عاش عنترة حياة تعسة فهو ابن لأم تنتمي إلى الطبقة الثالثة من النساء في المجتمع العربي بعد طبقة الحرائر وطبقة السبايا. فالسبية كانت وقفا على رجل واحد، أما الأمة فكانت شيئا مشاعا ولهذا فإن الاعتراف بابن السبية كان أمرا طبيعيا مسلما به، بينما كان الاعتراف بأبناء الإماء أمرا لا يقره العربي ولا يجيزه[20].

ولد عنترة في الرق لكنه استطاع بقوة ساعده أن ينعتق منه ويكتسب الاعتراف من أبيه[21]، غير أن وصمة العبودية بقيت عارا على جبينه. ذلك لأنه كان يعيش في مجتمع يربط ربطا وثيقا بين سواد البشرة والعبودية وتذكره كلما سنحت له الفرصة بهاتين الوصمتين كما يظهر ذلك في مواضع كثيرة من شعره.

3 - مظاهر عقدة النقص عند عنترة:

نتيجة الرمزية المشؤومة التي يحملها اللون الأسود في الثقافة العربية والمكانة الاجتماعية الوضيعة للإنسان الأسود فيها كان التعيير بـ"الأسود" وبـ"ابن السوداء" من أشد عبارات السب والشتم التي توجه إلى السود، فكانت الحساسية تجاه اللون الأسود واستبطان الدونية حادة عند كثير من الشعراء السود:

إن الإحساس باللون كان حادا عند الشعراء السود قبل الإسلام، ذلك

لأنهم كانوا طبقة مهانة ومطحونة، ولأنهم كانوا يذادون بالعنف مرة، وباللين مرة أخرى عن أن يكونوا داخل نسيج المجتمع الحي، وهكذا عاشوا على هامش هذا المجتمع طبقة فقيرة مهانة ومدموغة في الوقت نفسه بالسواد[22].

وتجاه هذا الوضع انقسم الشعراء السود إلى طبقتين: طبقة وقفت موقف الرفض ومعارضة هذا التمثيل السلبي للسواد فثاروا على هذه القيم أو خرجوا على الجماعة واتجهوا إلى طريق الصعلكة، وطبقة أذعنت للقبيلة رغم إقصائهم واحتقارهم واستبطنت هذا التمثيل السلبي وحاولت التعويض عنها بالتماهي مع القبيلة والاندماج إلى قيمها، وإلى هذه الفئة ينتمي بلا أي شك عنترة بن شداد. فقد خضع عنترة لوضعه الاجتماعي كما استبطن دونية لونه، وحتى بعد أن انعتق من العبودية واشتهر بفروسيته وشعره. فكثيرا ما يقابل في شعره سواد جلده ببياض خلقه.

إن عقدة النقص كانت الدافع الأقوى وراء سعي عنترة لكسب اعتراف أبيه وللاندماج في القبيلة. فقد كان من الممكن له بشجاعته أن يخرج على جماعته ويسلك طريق الصعلكة، ولكنه أراد أن يسجل فروسيته وبطولاته في إطار جماعته عسى أن يعوض ذلك عن سواد لونه وضعته الاجتماعية. غير أن مواقفه وإنجازاته لم تزده إلا مرارة، فقومه يستنجدونه في وقت الحرب ولكن في وقت السلم يحتقرونه ويذكرونه بعبوديته[23]:

ينادونني في السلم يا ابن زبيبة وعند صدام الخيل يا ابن الأطايب

من هنا كان عنترة حساسا للغاية تجاه لونه الأسود وعبر عن احتقاره لسواد الجلد وضرورة التعويض عنه[24]. لقد سبق أن قلنا أن عنترة كان يعاني من عقدة نقص مضاعفة تنجم عن إحساسه بعيب جسمي يتمثل في سواد لونه ونقص اجتماعي يتمثل في أصله العبودي. وبما أنه ورث مصادر هذه العقدة المضاعفة من أمه، فقد شكلت الأم عنده الرمز المجسد لعقدته، فتألم من انتسابه لأمة سوداء، لأنه مهما حاول فإن أبناء قبيلته أو أعداءه ظلوا يعيرونه بأمه[25]:

وقد أمسوا يعيبونني بأمي ولوني كلما عقدوا وحلوا

وحتى حين يفتخر بشرف الانتساب إلى أبيه يجد أن هذا النسب الشريف معلول بذل العبودية وسواد اللون الذين ورثهما عن أمه[26]:

يقدمه فتى من خير عبس أبوه وأمه من آل حام

عجوز من بني حام ابن نوح كان جبينها حجر المقام

إن ذكر انتساب أمه إلى بني حام له دلالته إذا رجعنا إلى أسطورة نوح وأبنائه الثلاثة والتي لعن فيها ابنه حام ودعا عليه بالعبودية. وكان من بغض عنترة للونه واحتقار أمه السوداء أن هجاها وتهكم منها[27]:

وأنا ابن سوداء الجبين كأنها ضبع ترعرع في رسوم المنزل

الساق منها مثل ساق نعامة والشعر منها مثل حب فلفل

وقد كان من آثار عقدة النقص والإحساس بالدونية والنبذ الاجتماعي الذي عانى منه عنترة أن جعل لشعره طابعا شخصيا ذاتيا. فهو وإن اختار أن يبقى في إطار قبيلته، متماهيا معها ومعتزا بالانتماء إليها، فإن شعره في أغلب الأحيان شعر ذاتي ولم يعتز بقبيلته عادة إلا "في معرض تعاون القبيلة فيما بينها لدفع ضيم أو مكروه أو في معرض الهجوم والقتال"[28].

4 - التعويض:

يشكل التعويض عنصرا هاما في النظرية الأدليرية، وهو الموقف الذي يتخذه المصاب بالشعور بالنقص أو بعقدة النقص للتخلص من إحساسه المؤلم. فكل شعور بالعجز والنقص يقابله سلوك من الفرد في محاولة التغلب على هذا الشعور:

التعويض محاولة لا شعورية يهدف منها الارتفاع إلى المستوى الذي وضعه الإنسان بنفسه. فإذا ما شعر الفرد بالعجز في موقف معين فهو يميل نحو تعويض ذلك العجز والفشل إلى نجاح وتفوق في موقف آخر حتى يقلل من حدة التوتر

الناتج عن الإحباط التي يتعرض لها[29].

والتعويض في حالة عنترة يتمثل، عند استحالة استبدال بشرته السوداء ببشرة بيضاء، في التعويض عنها بالتحلي بالخصال الشريفة التي تحمل رمزية بيضاء. فيلجأ إلى المقابلة بين لونه الأسود وأخلاقه النبيلة البيضاء، يقول ذلك صريحا[30]:

سوادي بياض حين تبدو شمائلي وفعلي على الأنساب يزهو ويفخر

ويقول[31]:

تعيرني العدا بسواد جلدي وبيض خصائلي يمحو السوادا

ويقول في موضع آخر منكرا سواده[32]:

ومن قال إني أسود ليعيبني أريه بفعلي أنه أكذب الناس

وفي موضع آخر يفتخر بلونه الأسود وفي نفس الوقت يعترف به كداء[33]:

لئن أك أسود فالمسك لوني وما لسواد جسمي من دواء

ولكن تبعد الفحشاء عني كبعد الأرض عن جو السماء

إن موقف عنترة من سواده كان مزدوجا، فقد يفتخر بسواده في بعض قصائده ولكن هذا الشعور يكاد يكون طارئا فيُعقبه احتقار للسواد وطغيان الشعور بدونيته، فلا يلبث الشاعر أن يستبطن هذا الإحساس بالدونية الذي فرضته عليه ثقافته، فيحاول التعويض عن هذا اللون المشئوم بالاتصاف بالشيم النبيلة. فيفتخر بأنه قد اكتسب الشمائل[34]:

أثني علي بما علمت فإنني سمح مخالقتي إذا لم أظلم

وخصاله الشريفة لا تفارقه في سكره ولا في صحوه[35]:

فإذا شربت فإنني مستهلك مالي وعرضي وافر لم يكلم

ويقول عن عفته[36]:

يخبرك من شهد الوقيعة أنني أغشى الوغى وأعف عند المغنم

ويقول عن عفافه وحشمته[37]:

وأغض طرفي ما بدت جارتي حتى يواري جارتي مأواها

إني امرؤ سمح الخليقة ماجد لا أتبع النفس اللجوج هواها

فإن عجز عن محو سواده فإنه يكون قد عوض عنه بالفعال الحميدة والخصال الشريفة، فلذلك تحلى بالشهامة والنبل والكرم والشرف والسماحة والحياء. وكما كانت عقدة نقصه مضاعفة سيكون التعويض عنها أيضا مضاعفا. فإلى جانب التحلي بالخصال الشريفة امتطى عنترة صهوة الشجاعة والفروسية.

وكما عانى عنترة من السواد عانى كذلك من العبودية التي ظلت ملازمة له في وعيه ولا واعيه وإن تحرر منها، فسعى جاهدا لمحوها جاعلا الفروسية مطية للوصول إلى المجد والشرف. لقد تطلع منذ صغره إلى المجد مهما كلفه ذلك من الأخطار وألزمه من حرمان النفس[38]، لكن افتقاره إلى النسب الشريف كان حاجزا بينه وبين الوصول إلى غرضه، وفي نفس الوقت حافزا له إلى التفوق. وكثيرا ما تألم من تعيير قومه بسواده وعبوديته رغم ما أظهره في ساحات القتال من بطولة ونصرة لهم، كما تألم من افتقاره إلى النسب الشريف. فكان ذلك عاملا قويا لتحفيزه إلى المجد. فإن فاته النسب الشريف من جهة الأم والأب فسيجعل السيف والجواد نسبه[39]:

جوادي نسبتي وأبي وأمي حسامي والسنان إذا انتسبنا

ويقابل النسب الشريف ببطولته[40]:

ومن قال إني سيد وابن سيد فسيفي وهذا الرمح عمي وخاليا

غير أن ذلك لم يخفف عنه لوعة عقدته المضاعفة، ذلك أن قومه لم يزالوا يرونه عبدا، فقد أذعن لقبيلته ولم ير سبيل الخلاص إلا بالاندماج في قبيلته، يقول[41]:

ومن يكن عبد قوم لا يخالفهم إذا جفوه ويسترضي إذا عتبوا
قد كنت فيما مضى أرعى جمالهم واليوم أحمي حماهم كلما نكبوا

إن المصاب بعقدة النقص غالبا ما يكون رد الفعل عنده بوسيلتين: إما الهروب من الواقع عن طريق شاذ بعد الفشل في التغلب على شعوره، أو مواجهة عقدته بالاقتحام والتبجح وفرض الذات[42]. وفي حالة عنترة فهو لم يهرب قط من الواقع ولم يستكن لوضعه وإنما ركب أهوال الحرب والبطولة وإثبات الذات للتصدي لعقدته. وفي سياق المجتمع التقليدي العربي حيث يطغى الانتماء القبلي والجماعي على السلوك الفردي، نجد عنترة يفرض وجوده الفردي ويجعل ذاته محور شعره. ويرى الباحث عبده بدوي أن هذا النوع من الشعر المرتكز على الشخصية ظل قليلا في الشعر العربي، وأنه جاء أكثر على لسان الشاعر الأسود الذي، بسبب نبذه الاجتماعي في المجتمع العربي "كان يحمل أزمته الخاصة أكثر مما يحمل أزمة الآخرين"[43]. ولم يشذ عنترة عن هذه القاعدة، فطغى في ديوانه الشعر الغنائي المرتكز على ذاته وبطولاته الحربية ومغامراته. وإذا تطرق إلى ذكر قبيلته والافتخار بها ففي سياق قتال أو غارة. فهو لم يخرج على القبيلة كما فعل الشعراء الصعاليك وإنما سجل طموحه إلى المجد في نطاق القبيلة وسعى إلى الاندماج فيها وكسب الاعتراف الاجتماعي من القبيلة بعد كسب الاعتراف البيولوجي من أبيه.

خاتمة:

تُعد نظرية ألفرد أدلير حول علم النفس الفردي من النظريات الرائدة التي تقدم فهمًا عميقًا لدوافع السلوك البشري. تركز هذه النظرية على مفهوم "عقدة النقص" والتعويض كدوافع رئيسية للسلوك البشري، حيث يرى أدلير أن الأفراد يسعون إلى تجاوز مشاعر النقص من خلال تحقيق إنجازات شخصية تعزز من شعورهم بالكفاءة والقدرة. وتقدم النظرية إطارًا لفهم كيفية استخدام الأفراد لمهاراتهم وقدراتهم كوسيلة للتعويض عن النقص. وتضع نظرية أدلير أهمية كبيرة

على السياق الاجتماعي وتأثيره على تطور الشخصية، مما يجعلها ملائمة لدراسة شخصية تاريخية وأدبية كعنترة بن شداد في ضوء بيئتها الثقافية والاجتماعية. فقد عانى هذا الشاعر من عقدة النقص بسبب لون بشرته وأصله الاجتماعي، لكنه سعى إلى تحويل هذه المشاعر إلى دافع للتميز في الفروسية والشعر. وتناولت المقالة دراسة نفسية معمقة لعنترة ابن شداد من خلال تطبيق نظرية ألفرد أدلير حول عقدة النقص والتعويض. وتقدم الدراسة منظوراً جديداً حول كيفية تفاعل الأفراد مع التحديات الاجتماعية والشخصية، من خلال استكشاف تأثير الوصمات الاجتماعية المرتبطة بلون البشرة والأصل العبودي على شخصية عنترة بن شداد وشعره. لقد وظف عنترة الفروسية والبطولة الحربية كوسيلتين للتعويض عن عقدة النقص التي عانى منها نتيجة لوضعه الاجتماعي المتدني، فكان شعره وسيلة للتعبير عن معاناته الداخلية ومحاولة تجاوز الشعور بالدونية المفروض عليه من مجتمعه. ويقدم البحث فهماً أعمق لكيفية تأثير البيئة الاجتماعية العنصرية على نفسية الفرد وكيف يمكن للفرد أن يستخدم مواهبه وفضائله لإثبات الذات والاندماج الاجتماعي رغم التحديات. وتساهم هذه الرؤية في إثراء الدراسات الأدبية والنفسية المتعلقة بالأدب العربي القديم وتقدم أسساً لتحليل المزيد من الأعمال الأدبية من منظور نفسي واجتماعي.

الهوامش:

1 - Marcelle Marini : "La critique psychanalytique", in Daniel Bergez (dir) Courants critiques et analyse littéraire, Armand Colin, Paris 2016, p. 74.

2 - شوان علي مهدي: "التعويض النفسي ودلالاته في رسوم تولوز لوترك" مجلة جامعة بابل للعلوم الإنسانية، المجلد 23، العدد 4، 2015م، ص 3.

3 - نفسه .

4 - المرجع نفسه. ص 11.

5 - Duane P. Schultz and Sydney Ellen Shultz: Theories of personality, Cengage Learning US, 2015, p. 109.

6 - المرجع نفسه، ص 108.

7 - من المبادئ الأساسية لعلم النفس الفردي عند أدلير: الشعور بالنقص، والتعويض، ودافع التفوق والكمال، وأسلوب الحياة، ووعي الذات، والاهتمام الاجتماعي، والغائية، ومبدأ الذات الخلاقة. انظر، رضا أنخمي عقدا: "دراسة نفسية لشخصية عنترة في ضوء نظرية أدلر"، مجلة الجمعية الإيرانية للغة العربية وآدابها، فصلية علمية محكمة، العدد 40، خريف 1395هـ/2016م، ص 3.

8 - نفسه.

9 - نشوان علي مهدي: المرجع السابق، ص 14.

10 - Duane P. Schultz and Sydney Ellen Shultz: op. cit.

11 - نفسه.

12 - حسب نظرية أدلير تنشأ عقدة النقض عند الطفل في ثلاث حالات: عند الطفل الذي يعاني من عاهة أو إعاقة جسمية عندما يفشل في محاولة التعويض عن عاهته أو إعاقته وخاصة إذا كان هذا النقص محل اضطهاد، والطفل المدلل الذي يعتمد كليا على أبويه ويكبر معاقا عاطفيا، والطفل المنبوذ الذي فقد العطف والعناية من أسرته ومجتمعه. انظر، ماكبرايد و. ج.: مركب النقص والعقد النفسية، ترجمة حلمي مراد، ص 11-23.

13 - رضا أنخمي عقدا: "دراسة نفسية لشخصية عنترة في ضوء نظرية أدلر"، مجلة الجمعية الإيرانية للغة العربية وآدابها، فصلية علمية محكمة، العدد 40، خريف 2016/1395، ص 5.

14 - نادر كاظم: صورة السود في المتخيل العربي، البحرين 2004م، ص 135.

15 - انظر المرجع نفسه، ص 122-161.

16 - الباقر العفيف: أزمة الهوية في شمال السودان، متاهة قوم سود... ذوو ثقافة بيضاء، ترجمة الخاتم عدلان:

http://sudanesonline.com/board/284/msg.html

17 - الأحباش هم أقرب الأعراق السود من العرب من الناحية الجغرافية. وحسب الباحث نادر كاظم هناك ثلاث سرديات تهيمن على العلاقات بين العرب والأحباش على مر التاريخ. فهناك سردية الهيمنة قبل مجيء الإسلام عندما غزا الأحباش اليمن وحكموها لمدة نصف قرن، ثم تلتها سردية الوفاق مع بعثة الرسول وهجرة المسلمين الأوائل إلى الحبشة لكن هذه الفترة لم تدم طويلا، فمع الفتوحات الإسلامية ظهرت سردية استرقاق مع تجارة الرقيق. انظر، نادر كاظم: صورة السود في المتخيل العربي، ص 89.

18 - نظر، عبده بدوي: الشعراء السود وخصائصهم في الشعر العربي، الجمعية المصرية العامة للكتاب، 1988م، ص 136-156.

19 - نادر كاظم: المصدر السابق، ص 156.
20 - المرجع نفسه، ص 33.
21 - وقصة انعتاقه من العبودية مشهورة مفادها كما أوردها ابن قتيبة أن قوما أغاروا على قبيل عبس فقاتلوهم وكان من بينهم عنترة فخاطبه أبوه: "كر يا عنتر! فقال عنترة: العبد لا يحسن الكر، وإنما يحسن الحلاب والصر. فقال: كر وأنت حر"، فقاتل عنترة الغارين حتى استرد ما أخذوه من الغنائم، فأعتقه أبوه وألحقه بنسبه، انظر، ابن قتيبة: الشعر والشعراء، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة 1950م، ج1، ص 250.
22 - عبده بدوي: الشعراء السود وخصائصهم في الشعر العربي، ص 281-282.
23 - عنترة بن شداد: ديوان عنترة، تحقيق ودراسة محمد سعيد مولوي، جامعة القاهرة، 1964م، ص 108.
24 - يرى بعض النقاد احتمالية انتحال شعر عنترة فيما يخص شعره عن اللون الأسود وأن ذلك قد يكون ناتجا عن قمع المجتمع العربي لصوت الشاعر الأسود وفرضه أن يعبر عما يريد أن ينطق به التمثيل العربي للأسود. انظر، نادر كاظم: صورة السود في المتخيل العربي، ص 570.
25 - عنترة بن شداد: ديوان عنتر، ص 108.
26 - عنترة بن شداد: ديوان عنترة بن شداد، شرح حمدو طماس، دار المعرفة، ط2، بيروت 2004م، ص 52.
27 - عنترة بن شداد: ديوان عنتر، تحقيق ودراسة محمد سعيد مولوي، ص 115.
28 - المصدر نفسه، ص 105.
29 - نشوان علي مهدي: التعويض النفسي ودلالاته في رسوم تولوز لوترك" ص 14.
30 - عنترة بن شداد: ديوان عنترة، ص 68.
31 - عنترة بن شداد: ديوان عنترة بن شداد، شرح حمدو طماس، ص 98.
32 - المصدر نفسه، ص 126.
33 - المصدر نفسه، ص 69.
34 - المصدر نفسه، ص 16.
35 - نفسه.
36 - المصدر نفسه، ص 17.
37 - عنترة بن شداد: ديوان عنترة، تحقيق ودراسة محمد سعيد مولوي، ص 159-160.
38 - يقول في قصيدة له:

ما دمت مرتقيا إلى العلياء حتى بلغت إلى ذرى الجوزاء

فهناك لا ألوي على من لامني خوف الممات وفرقة الأحياء
فلأغضبن عواذلي وحواسدي ولأصبرن على قلى وجواء
ولأجهدن على اللقاء لكي أرى ما أرتجيه أو يحين قضائي
ولأحمين النفس عن شهواتها حتى أرى ذا ذمة ووفاء
من كان يحجدني فقد برح الخفاء ما كنت أكتمه عن الرقباء
ما ساءني لوني واسم زبيبة إن قصرت عن همتي أعدائي
فلئن بقيت لأصنعن عجائبا ولأبكمن بلاغة الفصحاء

انظر: المصدر نفسه، ص 7-8.

39 - عنترة بن شداد: ديوان عنترة بن شداد شرح حمدو طماس، ص 183.

40 - المصدر نفسه، ص 193.

41 - عنترة بن شداد: ديوان عنترة، تحقيق ودراس: محمد سعيد مولوي.

42 - و. ج. ماكبرايد: مركب النقص والعقد النفسية، ترجمة حلمي مراد، المؤسسة العربية الحديثة، (د.ت)، ص 11.

43 - عبده بدوي: الشعراء السود وخصائصهم في الأدب العربي، ص 11.

References:

1 - ʻAntara ibn Shaddād: Dīwān, edited by Ḥamdū Ṭammās, Dār al-Maʻrifa, 2nd ed., Beirut 2004.

2 - ʻAntara ibn Shaddād: Dīwān, edited by Muḥammad Saʻīd Mulūī, Cairo University, 1964.

3 - ʻAqdā, Riḍā Afakhmī: "Dirāsa nafsiyya fi shakhṣiyyat ʻAntara fī ḍawʼ nazariyyat Adler, Majallat al-Jamʻiyya al-Īrāniyya li al-Lugha al-ʻArabiyya wa Ādābihā, Issue 40, 2016.

4 - Al-ʻAfīf, Al-Bāqir: Azmat al-Huwwiyya fī shamāl as-Sudān, translated by al-Khātim Adlān. http://sudanesonline.com/board/284/msg.html

5 - Badawī, ʻAbduh: Ash-shuʻarāʼ as-sud wa khaṣāʼiṣuhum fī ash-shiʻr al-ʻarabī, Al-Jamʻiyya al-Miṣriyya al-ʻĀmma li al-Kitāb, 1988.

6 - Ibn Qutayba: Ash-shiʻr wa ash-shuʻarāʼ, edited by Aḥmad Moḥammad Shākir,

Dār al-Maʿārif, Cairo 1950.

7 - Kāzim, Nādir: Ṣūrat as-sūd fī al-mutakhayyal al-ʿarabī al-waṣīṭ, Bahrain 2004.

8 - Mahdī, Nashwān ʿAlī: At-taʿwīḍ an-nafsī wa dalālātuhu fī rusūm Toulouse-Lautrec, Majallat Jāmiʿat Bābel li al-ʿUlūm al-Insāniyya, V.23, Issue 4, 2015.

9 - Marini, Marcelle: "La critique psychanalytique", in Daniel Bergez (dir) Courants critiques et analyse littéraire, Armand Colin, Paris 2016.

10 - Schultz, Duane P. and Sydney Ellen: Theories of personality, Cengage Learning US, 2015.